قضايا اللغة العربية في العصر الحديث
«اللغة الوسطى أنموذجًا»

إعداد
م.م. عبد الله سحاب مطر
الجامعة العراقية/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم التفسير
رقم الهاتف/ 07826880663
البريد الالكتروني
abdullah.s.matar@aliraqia.edu.iq

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم نورًا لنهتدي به والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛

اللغة اشبه ما تكون بكائن حي يولد ويعيش، ينمو ويتطور، ويموت، وهكذا الألفاظ في اللغة العربية، فهناك المئات من الألفاظ التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وكانت تتداول على جميع المستويات في الخطاب اليومي، وفي المنتديات والأسواق الأدبية آنذاك لكنها سرعان ما تجمدت ولم تعد تستعمل فيما بعد العصر الجاهلي، وما إن جاء العصر الإسلامي حتى اختفت ألفاظ وظهرت أخرى لم تكن مستعملة من قبل، ومرورًا بكل العصور التالية ووصولًا إلى العصر الحديث الذي أطلق عليه عصر النهضة، حيث مرت اللغة بأطوار عدة بين القوة والضعف وبين الفصحى والعامية، ولا شك أن آثار تلك المتطلبات ارتسمت بجلاء ووضوح على عصرنا هذا.

فكانت هنالك دعوة مكثفة إلى استعمال العربية العامية في التخاطب والكتابات، ونبذِ التقيد بالعربية الفصحى، والتخفُّفِ من الأحكام التي أملتها قواعد اللغة العربية من إعرابٍ وعاملٍ، وعلّةٍ، وغيرها، وإنّ هذه الدعوة تبناها رجال المدارس اللغوية الحديثة متأثرين بعلماء اللغة الغربيين، ولكل واحد منهم دوافعه وأهدافه في هذا المنهج، وعلى هذا تكون الدعوة إلى عاميَّة العربية دعوةً حديثة معاصرة تتناقض مع ما قرره علماء العرب والمسلمين القدامى من ضوابط وقواعد تحدُّ من الإمعان في اللحن والجموح إلى العامية وتحافظ على اللغة العربية الأصيلة التي نزل بها القرآن الكريم.

ومن هنا حصل تباينٌ بين ما يدعو إليه علماء اللغة المحدثون وبين ما أرساه الأقدمون، فكان لزامًا على الباحثين دراسة ذلك وبحثه بحثًا علميًا حتى تظهر الحقيقة ويتقرر الصواب.

لذا فإن هذا البحثَ يتناول أهمية اللغة الوسطى، وخصائصها، وأسباب وضع القواعد اللغوية عليها، وعواملَ الدعوة إليها، وتاريخها، والنتائج المترتبة عليها.

المبحث الأول: ازدواجية اللغة الفصحى والعامية

الفصحى:

هي تلك الصورة الأدبية الرفيعة التي تمثل فصاحة الأدباء، والبلغاء من الشعراء والحكماء الذين اشتركوا جميعًا في تكوينها، وقد ازدهرت هذه اللغة ونمت وترعرعت في قلب الجزيرة العربية المتمثلة بمكة المكرمة، لأسباب وعوامل عديدة(١). والفصحى مزيجٌ من لهجات متعددة، وليست لهجةً محكية لقبيلة معينة، والدليل على ذلك عدمُ قدرة أيِّ مجتمع أو قبيلة على البقاء منعزلةً عن القبائل العربية الأخرى، فلا بُدَّ لها من التأثير والتأثر بغيرها من القبائل، سواء في دلالة مفرداتها، أو قواعدها، أو أصواتها.

وما يقال: من أن لهجة قريش هي نفسُها الفصحى فقط فغيرُ صحيح، بدليل ما سبق، خاصةً وأن قريشًا كانت من أكثر القبائل العربية اختلاطًا بغيرها لأسباب دينية واجتماعية وسياسية، وإنما يمكن القول بإنَّ لهجة قريش كان لها النصيبُ الأوفر في هذه اللغة المشتركة، ولو كانت الفصحى لهجةً لقبيلة معينة لكانت عرضة للتغيير والتبديل بين حين وآخر، بسبب تأثرها بغيرها، أما الفصحى فقد ثبتت على حالها منذ نشأتها إلا من بعض التغيير الطفيف.

ودليل آخر على ذلك هو أنّ الفصحى فيها خليط من القواعد في الصيغ والتراكيب، إضافة إلى وجود كثير من المترادفات مما يستحيل أن تكون لهجةَ قبيلة واحدة(٢). ويؤكد هذا القولَ ما جاء في الخصائص: «وإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظٌ مختلفة، فسمعت في لغة إنسان واحد، فإنَّ أحرى ذلك قد يكون أفاد أكثرها أو طرفًا منها من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ في المعنى الواحد على ذلك كله. . . وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغةً لجماعات»(٣).

العامية:

هي لغة الخطاب اليومي في البيت والمدرسة والمسجد والسوق والعمل، ولا تخضع لقوانين معينة، وتقبل التغيير والتبديل حسب الظروف، ويسميها بعضهم لهجة، ويعرِّفها: بأنها مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة معينة، ويشترك في هذه الصفات جميعُ أفراد هذه البيئة،

(١) - ينظر: حسام البهنساوي، العربية الفصحى ولهجاتها، ص٤٥/٤٧.
(٢) - ينظر: داوود عبده، أبحاث في اللغة العربية، ص٨٢.
(٣) - ابن جني، الخصائص، ج١, ص٣٧٣, ٣٧٤.

وبيئتُها هي جزء من بيئة لغوية أوسع واشمل، تضم لَهجَاتٍ كثيرة لكل منها مميزاتها وخصائصها، ولا بد أن تشترك في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تُيَسِّر اتصالَ أفراد هذه البيئات وتعاملَ بعضهم مع بعض(١). ونجد بعض الباحثين يسميها اللغة الهجينَ، أو اللغةَ المولَّدةَ؛ لأنها نشأت من تفاعل الشعوب والثقافات المختلفة بعضها مع بعض(٢).

الازدواجية:

هي ظاهرة طبيعية موجودة في اللغات الإنسانية ومنها العربية، وهي تعني وجودَ مستويين من اللغة: مستوى خاص بالكتابة، وهو الأسلوب الأدبي أو اللغة الفصحى، ومستوى آخر يستعمل في الحديث اليومي، وهو ما يسمى بالعامية، أو اللهجات المحلية الخاصة بكل بلد عربي وتختلف كلٌ منهما (العامية والفصحى) عن الأخرى اختلافًا بيِّنًا في كثير من مظاهر أصواتها، ومفرداتها، ودلالة ألفاظها، وأساليبها، وقواعدها، وتصريفِ مشتقاتها، وهي ظاهرة طبيعية في كل اللغات(٣).

ويعتبر وليم مارسيه المستشرق الفرنسي هو أول من شَرَع هذا المصطلح، ولكن تشارلز فرجسون هو الذي اشتهر به في مقالته التي نشرها في مجلة (word) عام ١٩٥٩, ومثَّل لهذه الظاهرة بأربع لغات كانت العربية إحداها؛ إذ لاحظ أنها لغة تستعمل مستويين: أعلى (هو الفصحى)، وأدنى (هو اللهجات المحكية العامية).

وتمثل الازدواجية في العربية مظهرًا حاسمًا من مظاهر التحول الذي جرى على العربية؛ ذلك أنه – وإن تكن الفصحى قد تشبثت على الجملة بمثالها المعيار - إلا أن العاميات مضت في مجرى التطور (بعوامل زمانية ومكانية متشابكة) فأسقطت الإعراب واستبدلت به دوالّ تركيبية خاصة للإبانة عن المعاني النحوية(٤).

وقد استغل الاستعمار هذه الظاهرة وأشعلها مشكلة أراد أن يحرق بها ذلك الرباط المقدس، رباط الفصحى الذي يشدُّ العرب من المحيط إلى الخليج بأواصر التفاهم والتضامن والوحدة(٥).

(١) - ينظر: إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص١٦.
(٢) - ينظر: سمير استيتية، المشكلات اللغوية، ص١٢٢.
(٣) - ينظر: عبدالرزاق السعدي، بحث بعنوان: الدعوةُ إلى عاميّة اللغة العربية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية - عمان٢٠١٢, ص١٢.
(٤) - ينظر: نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، ط: الأولى ٢٠٠٧, ن: دار الشروق، ص١٣٧.
(٥) - ينظر: رمضان عبد التواب، لحن العامة، ص٣٥, وينظر: رمضان عبد التواب – التطور النحوي، ص٢٠/١٧.

مما جعل بعض الناس يعدُّ وجود هذه الظاهرة مشكلةً كبيرة، فدعوا إلى توحيد لغةِ الكتابة ولغةِ الحديث.

وانقسموا في ذلك إلى فريقين: فريق يرى بأن نسموا بلغة الحديث إلى لغة الكتابة، ونعملَ بكافة الوسائل والأساليب على تقريب العامية من اللغة الفصحى، وبذلك يتوحد المستويان أو يكادان، وتصبح العربية الفصحى لغةً طبيعية تنتقل من السلف إلى الخلف عن طريق التقليد، وفريق آخر يرى أن نهبط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث، فَنستخدم العامية في الشؤون التي نستخدم فيها الفصحى، ونُوفر بذلك كثيرًا من الجهد والوقت والمال الذي يُبذل في سبيل الإحاطة بلغة غيرِ اللغة التي انتقلت إليهم من آبائهم، وكان لكل فريق مؤيدون وأنصار ومعاركُ اشتعلت لفترة من الزمن بين الفريقين، إلى أن كتبَ اللهُ لدعوة العامية الخيبةَ، ولدعاتها الاندحار والتوقع(١).

وعند الحديث عن الازدواجية لا بدَّ من الحديث عن الثنائية، والثنائية تختلف عن الازدواجية، رغم أن بعض الباحثين لا يفرق بينهما(٢), فالثنائية تعني قدرةَ الفرد على استعمال لغتين مختلفتين يمكن اعتبارُ كلٍّ واحدة منهما بوجهٍ أو أكثر أصليةً بالنسبة له(٣), فلا ترادفَ بين الازدواجية والثنائية، فالأولى تعني وجودَ مستويين لغويين في إطار اللغة الواحدة: أحدهما رفيع والآخر عامي منحرف، أما الثنائية فتعني أنْ يكون المستويان اللغويان لسانين مختلفين، ولا يتعلق أحدهما بالآخر تعلقَ الفرع بالأصل(٤).

المبحث الثاني: الدعوة إلى عامية اللغة وتاريخها

مشكلةُ الفصحى والعامية من المشاكل المعاصرة التي تواجه العربية، وهي أهم مظهر من مظاهر التحديات، وهي قضية صنعها الاستعمار وأعوانُه، عندما وجدوا لغةً عليا للفكر والأدب وهي الفصحى، وفي المقابل وجدوا لغةً مستعملة في التخاطب اليومي وهي العامية، وهذا أمر موجود في كل اللغات، وليس ثمة مشكلة في ذلك، لكنَّ الاستعمار استغل هذه الظاهرة الطبيعية

(١) - ينظر: على عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص١٤٨/١٤٩.
(٢) - أميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص١٤٦.
(٣) - ينظر: مصدر سابق، سمير استيتية، المشكلات اللغوية، ص١١٩.
(٤) - ينظر: عبد الكريم مجاهد، على اللسان العربي، ص١٩٩.

في اللغات، ليحارب بها الفصحى لغةَ القرآن(١).

فكونها موجودةً لا يعني أن نركن إلى هذا الوضع الذي تُحاربُ فيه الفصحى، لأن العامية سريعة التبدل والتغير، فما تلبث أن تصبح بعد فترة من الزمن لغةً أخرى بعيدة عن العربية؛ لكثرة الدخيل والمولد «فقد باتت العامية في عصرنا الحاضر بعيدة كل البعد عن الفصيحة، فقد نمت في مناخ مشبع بالرطانات الأعجمية، مما زاد انحرافاتها الصوتية، والصرفية، وألفاظها الدخيلة، وتراكيبها البعيدة عن سنَنِ العربية، فالهدفُ إذن هو العودةُ بهذه العامية إلى سابق عهدها، من حيث قربها من الفصحى، أي: إلى الحال السابقة للحكم الأجنبي»(٢).

فقد بدأت الدعوةُ إلى العامية عن علماء الغرب الذين اهتموا بدراسة اللهجات العربية العامية منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وكان من مظاهر اهتمامهم إدخالهم تدريسَ اللهجات العامية في مدارسهم وجامعاتهم، مثل فرنسا وروسيا وألمانيا وإنجلترا، ثم بدأ اهتمامهم بالتأليف في اللهجات العامية، فمنه ما ألفه أبناء العربية بإيعاز غربيّ مثل كتاب (أحسن النخب في معرفة كلام العرب) لمحمد الطنطاوي، ومنه ما قام بتأليفه الغربيون أنفسهم(٣).

أما الكتب التي ألفها العرب آنذاك فلم يترتب على ظهورها أيةُ خطورة على حياة العربية الفصحى، وذلك لأن مؤلفيها وهم أبناء العربية اكتفوا بتسجيل خصائص العامية؛ بدافع تسهيل دراستها على الطلاب الأجانب، والترفيه عن العامية حينا، أو التثقيف والتهذيب حينا آخر، ويمكن القول: بأن الكتابة بالعامية آنذاك كانت من أجل إضحاك الناس أو النقد اللاذع للحياة الاجتماعية والسياسية(٤).

ثم بعد ذلك بدأ الأجانب أنفسهم بتأليف الكتب في العاميات العربية، وأولهم (ولهم سبيتا)، و (كارل فولرز) وغيرهم، وكان هدفهم واضحاً وهو القضاء على الفصحى.

فشل الدعوة إلى العامية:

على الرغم من الحملة الشرسة، والتآمر على العربية من قِبَل الغرب، إلا أنها باءت بالفشل، ويمكننا أن نوجز الأسباب التي أدت إلى فشل الدعوة إلى عامية العربية في النقاط الآتية:

(١) - ينظر: مصدر سابق، أميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، ص١٤٦.

(٢) - سمر روحي الفيصل، المشكلة اللغوية، ص٢٥.

(٣) - ينظر: نفوسة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية، ص١١/٨.

(٤) - ينظر: مصدر سابق، نفوسة زكريا، الدعوة إلى العامية، ص٧٨.

١ - وضوح الهدف؛ أما أنصار الفصحى وتمسكهم به، وإعلانهم أن العربية الفصحى هي المشروع العربي الإسلامي الناهض.

٢ - ضيق العامية ومحدوديتها وفقرها في المفردات، وعدم وجود نظام كتابي يمنعها من استيعاب الإنتاج الأدبي والعلمي، فهي مضطربة كل الاضطراب في قواعدها وأساليبها ومعاني الفاظها، لذا فهي لا تقوى أبداً على التعبير عن المعاني الدقيقة(١).

٣ - ومن الأسباب أيضاً أن العامية تتغير بسهولة، فلا تثبت أصواتها على حال واحدة، ولا تستقر دلالات مفرداتها.

٤ - اتخاذ العامية لغة مشتركة ونبذُ الفصحى يؤدي إلى انقطاع عن التراث الحضاري المشترك للعرب والمسلمين.

٥ - تعددُ العاميات واختلافها إلى درجة التباين، مما يؤدي إلى إضعاف التواصل بين البلدان العربية، وبذلك تصبح العاميات عاملَ تفكيك لا عاملَ توحيد، وسيكون الاختلاف حتمياً في أي لهجة.

٦ - الضرر السياسي على الصعيد القومي بفقدان الوعاء الثقافي، وضياع دعامة رئيسة من دعامات وحدة القومية العربية وهي الفصحى؛ لأنها الرابط الأقوى بين الشعوب بخلقها نوعاً من الشراكة في الفكر والإحساس(٢).

٧ - تعددُ العاميات يؤدي إلى سوء الفهم، فبعض الكلمات في عامية بلد مّا، لها معنى يختلف تمام عن معناها في بلد آخر، فكلمة (مبسوط) مثلا في اللهجة المصرية والشامية تعني الفرح، ولكنها في اللهجة العراقية تعني الضرب الشديد.

٨ - ومن أسباب فشل العامية ارتباطُ الفصحى بالقرآن الكريم، ولولا وجود العامل الديني لأصبحت كلٌّ لهجة عامية لغةً قائمة بذاتها.

ثم بعد فشل الدعوة إلى العامية واندحارها، تنبه العلماء على لغتهم إلى نقطة هامة، وهي الازدواجية في اللغة، والتي أصبحت تتنامى مع تطور العصر، والانفتاح في شتى المجالات، مما جعلهم يخافون من تأثير العامية الفصحى بسبب التباين الشديد بينهما، فحاولوا جاهدين التقريب بينهما بدراسة العاميات المختلفة، ومحاولة التقريب بينها وبين الفصحى نحوياً وصرفياً

(١) - ينظر: على وافي، فقه اللغة، ص١٥٦.

(٢) - ينظر: عبد الكريم مجاهد، على اللسان العربي، ص٢٠٨.

ودلالياً وصوتياً، وذلك بحصر الكلمات والأساليب التي انحرفت فيها العاميةُ عن الفصحى، وتبيان هذا الانحراف وتحديده، ومحاولة رده إلى أصله العربي الفصيح، والإشارة إلى الألفاظ العامية التي يُظن أنها منحرفة، ولكنها فصيحة، فليس كلُّ ما تستعمله العامة خطأً[١].

فمن هنا توصل بعض النحاة إلى حلّ وسط ما بين الفصحى والعامية، وهو اللغة الوسطى، أو اللغة الوسيطة، ليرتقوا بالعاميات، وليسهلوا قواعد الفصحى، وهو ما نجده ملموساً في كلام الأدباء، والباحثين، والعلماء.

المبحث الثالث: نظرية اللغة الوسطى

اقترح بعض الباحثين اقتراحًا لحلّ الأزمة اللغوية التي تواجهها اللغة العربية الفصحى، مع العامية، والتي يعيشها العرب مع لغتهم حاضراً، وهذا الاقتراح قد يكون الوسيلة التي يمكن بها التخفف من حدّة الصراع والتنازع القائم بين فصحى العربية وعاميتها؛ حيث تصبح هذه اللغة والذي أطلق عليها البعض اللغة (الثالثة) أو اللغة (الوسطى) الوسيط أو الجسر الواصل بينهما، والقاسم المشترك الذي يمكن أن يتوحّد عليه، أو يلتقى عنده أفراد المجتمع العربي في مجالات التعليم والإعلام وعمليات التثقيف بنحو عام.

حيث يسعى بعض الباحثين إلى إبراز أهمية هذه النظرية «على أمل الإسهام في تطويرها»[٢], مع رغبة في بيان دور وسائل الإعلام العربي المسموع منه والمرئي في تطوير هذه اللغة، أو في بثها ونشرها.

ويرى بعض المؤلفين أن الحديث عن اللغة العربية الثالثة يمليه - بلا ريب - الوضع اللغوي والثقافي المضطرب الذي يعيشه المجتمع العربي الراهن، والتنازع القائم فيه بشأن العولمة، ثم ذلك الضعف والتهجين والاضطراب اللغوي العشوائي والاستسلام المحيِّر والانقياد المضلّل للمؤثرات الخارجية والداخلية[٣].

(١) - ينظر: مصدر سابق: عبدالرزاق السعدي، الدعوة إلى عامية اللغة، ص٢٢.
(٢) - ينظر: أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، ص١٤٤.
(٣) - ينظر: مصدر سابق، المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، ص١٤٥.

مفهوم اللغة الوسطى:

لم يلتزم بعض الباحثين بمصطلح واحد لهذه النظرية، إذ تعددت المصطلحات في هذا الشأن، فمنهم من يقول «اللغة الثالثة، أو الوسيط بين العربية الفصحى والعامية، أو المستوى اللغوي الثالث», ولكن يبقى القاسم المشترك هو ذلك المستوى اللغوي المنطوق الذي يستمد عناصره ومكوناته الأساسية من فصحى العصر بمختلف درجاتها ونماذجها وروافدها الداخلية والخارجية، وتكيف فيه عناصر أخرى من العامية بمختلف انماطها ودرجاتها التي لا تبتعد عن أصول الفصحى ومقاييسها وقاعدتها الأساسية، لتتكوّن أو تتطور من خلاله ومن خلال توفيقه وجمعه بين هذه العناصر، لغة محكية مشتركة وسيطة عفوية أصيلة، مبسّطة، ميسّرة، قريبة، مستأنسة من خاصة الجمهور وعامته.

الصفات الأساسية العامة للغة الوسطى:

أن تكون هذه اللغة عربية محكية، فصيحة سليمة في تكوينها العام.

أن تكون لغة التعليم في جميع مراحله، ولغة الإعلام الجماهيري في معظم أشكاله، ولغة للثقافة والتثقيف المحكي عامة، وقابلة لأن تصبح مشتركة بين أفراد المجتمع العربي بمختلف طبقاته.

أن تسير في مختلف درجاتها ومجالاتها وفق قواعد العربية الفصحى نفسها، ووفق أساليبها المطوّرة المحدثة، لا تجافيها.

ولها من الألفاظ الأجنبية المعرّبة والدخيلة نصيبٌ وافٍ.

وأنها منسجمة مع مستجدات الحياة الحاضرة وظروفها المتطورة، ومع طباع الناس وذوقهم العام المشترك.

وأنها متخففة من كل ما يمنع من ديمقراطيتها وديمقراطية الأدب والفكر، على المستويين الإقليمي والقومي.

وأنها ميسّرة القواعد والأساليب.

وسهلة التعلم والاكتساب، من خلال السماع، والممارسة الفعلية.

في أُسس النظرية:

اندرجت أسس نظرية (اللغة الوسطى) في مجموعتين اثنين، تضمّنت الأولى منهما، مباحث اللفظ المفرد (فصاحة الكلمة، استرفاد الألفاظ من العامية، جواز اعتماد المفردات المُوَلَّدة

والمُحدثة. .) واشتملت الثانية، مباحث في الجملة والأساليب.

في المجموعة الأولى، يحشد الدكتور أحمد المعتوق في كتابه «نظرية اللغة الثالثة» ما يُعنى متن اللغة، وما يجعله متناً مرناً متحركاً، إذ يغتني من الألفاظ الحديثة، ومنها الألفاظ العامية العائدة في أصولها وتأثيلها وتأريخها إلى جذور من الفصحى، ويضيف إلى ذلك ما استُجدّ من ألفاظ الحضارة والتقانة، وما تفرزه وسائل وتقنيات النحت والمعرّب الصوتي والتركيب المزجي، ثم يوسّع المؤلف ليشمل الاقتراض من اللغات الأجنبية، فإن ذلك، كما يقول ليس بدعاً ولا خطراً يُخشى منه، إذا تناوله الكتّاب والعلماء والمستعملون للغة بما ينبغي من الوعي والاحتياط.

اما في المجموعة الثانية، يعتقد المؤلف أن من الممكن إخضاع ((اللغة الوسطى)) إلى منهج نحوي مبسّط، وأسلوب متوازن في التزام الإعراب, «أي تخضع هذه اللغة بكلّ ما تقترضه، أو تأخذه، أو تستعيره لنظام إعرابي سلس، ميسّر، وقانون صرفي مرن، يرجع في تكوينه الأساسي إلى نظام الفصحى وقانونها، من دون أن يلتزم التزاماً صارماً بكل تفاصيلها، ومن غير أن يكون التيسير والتبسيط فيهما في الوقت نفسه، عشوائياً ارتجاليا مزاجيا أو عن طريق جهود فردية تتنازع فيها الآراء. . »[1]

التواصل بالعربية الوسطى في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

في هذا السياق يبدو أن ما يعانيه الطالب الأجنبي من مشاكل في التواصل مع المجتمع والحياة العامة، يرجع إلى أنه يدرس اللغة الفصيحة في الجامعة، ولكنه عندما ينخرط في الحياة اليومية يجد صعوبة في فهم العاميّة، فالازدواجية القائمة تمثل عبئًا ثقيلًا عليه يؤثر في دافعيته نحو تعلّم اللغة العربية.

وباعتبار هذا الأمر، كان التساؤل المطروح: هل من الممكن أن تؤدي اللغة الوسطى أغراض التواصل للناطقين بغير العربية؟ وبعد دراسة علميّة تطبيقيّة لمحاورات واقعية وسجالات الطلبة الأجانب في فضاءات المعهد الدّولي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعة الأردنية، وبعد التّبصر بتجارب الآخرين والاستئناس برؤاهم، تمّ تطوير وسيط لغوي ليس خالصاً للعامية أو للفصحى، ولكنه يصلح للتواصل على مستوى المشافهة والكتابة، مستنداً إلى الوشائج المتينة بين الفصحى ولهجات الخطاب العامية والانطلاق نحو استثمار المشترك بين العامية والفصحى،

(١) - ينظر: مصدر سابق، أحمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة، ص١٤٧.

وبذلك يمكن صوغ مشروع التّحول إلى اللغة الوسطى(١).

التلفزة الفضائية بين الفصحى والعامية:

لعلَّ واحدةً من الإيجابيات التي تُحسَب للفضائيات العربية - على كثرة سلبيَّاتها - أنّها أسهمت في تواصل العرب، فأصبح بإمكان الفرد العربي - بفضلها - أن يعرف الكثير عن أخيه العربي في البلد الآخر؛ عاداته وتقاليده، وتُراثه، وسُبل عيشه، وأسباب فرحه وهمِّه، وحتى أطباقه المفضّلة، إضافة إلى اعتياد العرب كلٌّ لهجةَ الآخر بمرور الوقت؛ فما كان صعب الفهم بالأمس صار اليوم أقلّ صعوبة؛ بفضل هذا الفضاء المشرع للجميع.

ولكن ما يؤخذ على فضائيّاتنا أنّ اعتمادها العربية الفصحى في مختلف برامجها ليس بأحسن حالاته، فهو يكاد يقتصر على نشرات الأخبار، وبعض البرامج كالدينية منها والحوارية أحياناً، وما يعول على هذه الفضائيات، نظراً إلى دورها المحوريّ في تواصل العرب، خصوصاً تلك التي تحظى بأعلى نسب مشاهدة على مستوى العرب، من خليجهم إلى محيطهم، وغيرهم من بني جنسهم المنتشرين في أصقاع الأرض، إضافة إلى غير العرب المعنيّين بهذه اللغة، والمرتبطين بهذا الدّين، أن يعطوا للعربية الفصيحة ما تستحقُّه من اهتمام في كلِّ برامجهم، مع التركيز على برامجِ الأطفال بشكلٍ خاص، وإن كان لا بدَّ من الحديث باللهجات العاميّة في البرامج الحوارية التي يشارك فيها أفراد من اقطار عربيّة مختلفة أن يسعى الجميع لتجنُّب اللُّجوء إلى لهجاتهم المحليّة الصِّرفة، والاقتراب من الفصحى بقدر يمكِّن المشاهد حيثما وجد من المتابعة، وفهم ما يدور، فإن تعذَّر على أحدهم الأمر فليدّع مجالاً لغيره ممّن يُحسن القيام بذلك(٢).

فكان المستوى الثالث أي العربية (الوسيطة) دور في الأعلام وهي عربية المتعلمين والمثقفين والمتخصصين في المجالات المعرفية المختلفة (في مواقف الحوار والمشافهة).

وما يعنينا من أمر هذا المستوى الثالث الذي نَجَمَ عن تلاقُح الفصيحة المتعلَّمة واللهجات المحكية المكتسبة أنه يمثل «تحولاً ميدانياً» من الفصيحة، بل إنه في بعض تجلياته يشبه أن يكون فصيحاً كما في تقارير بعض مراسلي الفضائيات التي يسهمون بها في سياق نشرات

(١) - ينظر: فاطمة محمد العليمات، بحث بعنوان: نحو منهج للتواصل بالعربية الوسطى للناطقين بغيرها، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، العدد٢/٢٠١١م، ص١٢٧.

(٢) - ينظر: عاهد الخطيب، فضائياتنا بين الفصحى والعامية، شبكة الألوكة.

الأخبار؛ ذلك أنهم، وفقاً لمطالب الاتساق وسياق النشرة يجهدون - أو يتمرسون - أن يعدوا لتقاريرهم وأن يرتقبوا بها إلى مستوى الخطاب الإخباري المكتوب المقروء(١).

(١) - ينظر: مصدر سابق: نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث، ص١٣٨.

الخاتمة

ثم وبعد هذه الدراسة في «قضايا اللغة العربية في العصر الحديث» دراسة اللغة العربية الوسيطة، تبيّن للباحث أن هذه اللغة تكون بمثابة الحل الوسط في الجمع ما بين عامية اللغة وفصاحتها، فلا يمكن الاستغناء عن العامية بالفصحى، فهما مزيجان من نوع واحد.

فمن خلال دراستي لهذا الموضوع وجدت أن هذه اللغة بعدما ارتقت بالعامية، وسهّلت قواعد الفصحى، عندها أصبحت لغة المثقفين، والمتعلمين، ولغة الإعلام، لكنها عجزت لأن تكون لغة الإعلان، لأن الإعلان هو مزيج من العاميات في وقتنا الحاضر. حيث أن الوسطى هي مستوى من مستويات الفصحى، إذ أنها مستمدة عناصرها ومكوناتها من اللغة العربية الفصحى، وهي لغة عربية، محكية، مشتركة، من خاصة الجمهور وعامته، لكنها افتقرت إلى دور الإعلام في بث ونشر هذه اللغة.

أيضًا أصبحت هذه اللغة تضع حلولًا، حيث نجد ذلك فيما يعانيه الطالب الأجنبي من مشاكل في التواصل مع المجتمع والحياة العامة، يرجع إلى أنه يدرس اللغة الفصيحة في الجامعة، ولكنه عندما ينخرط في الحياة اليومية يجد صعوبة في فهم العاميّة، فالازدواجية القائمة تمثل عبئاً ثقيلاً عليه يؤثر في دافعيته نحو تعلّم العربية، فأصبحت هذه اللغة وسيط لغوي أو حلّاً وسطاً، فيما يعانيه الطالب الأجنبي من تعلّم اللغة العربية.

ثم أخيرًا فإني أقدم هذا الجهد المتواضع، فإن كان فيه من صواب فهو من توفيق الله وسداده، وإن كان فيه من تقصير فإنه من نفسي، وحسبي أني أخطئ وأصيب.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ت: محمد النجار، ن: المكتبة العلمية.
٢. استيتية، سمير شريف، المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية, ١٩٩٥م.
٣. إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، الطبعة الأولى، ن: دار العلم للملايين، لبنان ١٩٨٢م.
٤. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، الطبعة الثالثة، ن: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٥م.
٥. البهنساوي، حسام، العربية الفصحى ولهجاتها، ن: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٤م.
٦. رمضان عبد التواب – التطور النحوي للغة العربية، الطبعة الثانية، ن: مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٤م.
٧. رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللغوي، الطبعة الأولى، ن: مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ١٩٦٧م.
٨. السعدي، عبدالرزاق، بحث بعنوان: الدعوةُ إلى عاميّة اللغة العربية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية - عمان٢٠١٢.
٩. عاهد الخطيب، فضائياتنا بين الفصحى والعامية، شبكة الألوكة.
١٠. عبده، داوود، أبحاث في اللغة العربية، ن: مكتبة لبنان، بيروت١٩٧٣م.
١١. فاطمة محمد العليمات، بحث بعنوان: نحو منهج للتواصل بالعربية الوسطى للناطقين بغيرها، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، العدد٢/٢٠١١م.
١٢. الفيصل، سمر روحي، المشكلة اللغوية، الطبعة الأولى، لبنان، طرابلس١٩٩٢م.
١٣. مجاهد، عبد الكريم، علم اللسان العربي، الطبعة الأولى، ن: دار أسامة، عمان ٢٠٠٥م.
١٤. المعتوق، أحمد محمد، نظرية اللغة الثالثة, «دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى», ن: المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٥م.

١٥. الموسى، نهاد، اللغة العربية في العصر الحديث، ط: الأولى ٢٠٠٧, ن: دار الشروق.
١٦. نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، الطبعة الأولى، ن: دار نشر الثقافة.
١٧. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، الطبعة السادسة، ن: دار نهضة مصر.